وَظَنَنْتَ دَعْوَتَنَا تَمُوتُ بِضَرْبَةٍ ... خَابَتْ ظُنُونُكَ فَهْيَ شَرُّ ظُنُونِ
بَلِيَتْ سِيَاطُكَ وَالْعَزَائِمُ لَمْ تَزَلْ ... مِنَّا كَحَدِّ الصَّارِمِ الْمَسْنُونِ
إِنَّا لَعَمْرِي إِنْ صَمَتْنَا بُرْهَةً ... فَالنَّارُ فِي الْبُرْكَانِ ذَاتُ كُمُونِ
تَاللَّهِ مَا الطُّغْيَانُ يَهْزِمُ دَعْوَةً ... يَوْمًا، وَفِي التَّارِيخِ بِرُّ يَمِينِي
ضَعْ فِي يَدَيَّ الْقَيْدَ، أَلْهِبْ أَضْلُعِي ... بِالسَّوْطِ، ضَعْ عُنُقِي عَلَى السِّكِّينِ!
لَنْ تَسْتَطِيعَ حِصَارَ فِكْرِي سَاعَةً ... أَوْ نَزْعَ إِيمَانِي وَنُورَ يَقِينِي!
فَالنُّورُ فِي قَلْبِي وَقَلْبِي فِي يَدَيْ ... رَبِّي وَرَبِّي نَاصِرِي وَمُعِينِي!
سَأَعِيشُ مُعْتَصِمًا بِحَبْلِ عَقِيدَتِي ... وَأَمُوتُ مُبْتَسِمًا لِيَحْيَا دِينِي!

*** أديب الإسلام الشيخ سيد قطب وصدعه بالحق وحكايته مع الطاغية:**

يعلم اللَّه أنا نكتب هذه الترجمة إنصافًا لقدر الناس، وأني لا أحيد عن مذهب السلف ومنهجهم قيد أنملة.

وبالسلفية إعجابنا ... إذا قلّ بالسلف المعجبُ

ولي وقفات كثيرة مع الفكر القطبي وجماعة القطبيين وردود طويلة على كتاب «حد الإسلام» وبيانًا لبدعهم.. ومع هذا أقول: إن للشيخ سيد قطب عبارات فيها استرسال وخاصة في مسائل التكفير وخاصة في تفسيره لسورة الأنعام في «الظلال» وهذه تحتاج لضبط سلفي، ونقدر مواقف الرجال وكلامهم يحتاج إلى روية وجمع لكلامهم المتفرق وأسلوب عف في النقد، مع بيان الخطأ والحيدة عن عقيدة السلف في كل صغيرة وكبيرة.. وليس من الإنصاف محاكمة الرجل على أنه عالم مدقق، وإنما الرجل يكتب بلسان الأديب وفيه استرسال فنبين خطأه وننقده فيه، ونذكر ما عنده من الصواب.. ويوم أن قتل أثنى عليه علاّمة الزمان وشيخ العصر ابن باز، وأثنى عليه بعد ذلك الشيخ بكر أبو زيد، وأثنى على كلمات له الشيخ الألباني.. وكان يكفي

الشيخ ربيع بن هادي المدخلي أن يخفف من حدته في الهجوم وينقد الشيخ سيد قطب نقدًا هادئًا[1] حتى ينتفع ببعض ردوده وفيها صواب على سيد قطب ـ رحمه اللَّه، ولعل أسلوب الشيخ الدويش في كتابه «المورد الزلال في أخطاء الظلال» أسلوب لين هين يبين الصواب بعيدًا عن التهجم والتشنج في العبارات فكل إنسان يؤخذ منه ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

أكرر للمرة الألف أنا لسنا من القطبيين ولا نوافقهم على بدعهم في التكفير، ولا نقر انحرافهم عن الحق في كتابهم «حد الإسلام» لعبدالمجيد الشاذلي بل نحن السلفيون لهم بالمراصد في كل مكان «نقولها لوجه اللَّه أولاً وأخيرًا وحسابنا على اللَّه.

ولقد أنصف شيخ السلفية الألباني سيد قطب وهو يتحدث عن كلامه في فصل «لا إله إلا اللَّه منهج حياة» من كتابه «معالم على الطريق».

❑ يقول الشيخ بكر أبو زيد عن سيد قطب: «وجدت في كتبه خيرًا كثيرًا، وإيمانًا مشرقًا، وحقًّا أبلجًا، وتشريحًا فاضحًا لمخططات العداء للإسلام! على

---

(١) نأخذ ما عند الشيخ ربيع بن هادي المدخلي من حق ونبينه بالأسلوب الهادئ للناس ونترك منه تحامله في كلامه، ونأخذ من عند سيد قطب من حق ولا نقره مطلقًا على خطئه وخاصة في العبارات المبهمة والتي فيها إرسال في مسائل التكفير، وتأويله للصفات، وكلامه المبهم في بعض الأماكن القول بخلق القرآن ورده لبعض الأحاديث الصحيحة، وإنكاره لسحر النبي ﷺ، وكلامه في كتابه العدالة الاجتماعية عن عثمان ومعاوية ﷺ.. وقلامة عثمان ﷺ ومعاوية ﷺ تساوي الدنيا بأسرها من أبناء عصرنا ونسأل اللَّه أن يمد في العمر ونكتب عن «سيد قطب ماله وما عليه» حتى لا يفتري علينا أحد بأننا من القطبيين بل نحن من السلفيين ومن دعاة المنهج والفكر السلفي الخالص نسأل اللَّه أن يتوفانا على هذا وإن يحشرنا مع سلفنا الصالح، كما نبين أنا سنذكره في كتابنا عن نقد الرجال.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

عثرات في سياقاته، واسترسال بعباراته! ليته لم يتفوَّه بها! وكثير منها ينقضها قوله الحق في مكان آخر والكمال عزيز.

والرجل كان أديبًا نقّادة، ثم اتجه إلى خدمة الإسلام من خلال القرآن العظيم، والسنة المشرفة، وسخّر قلمه ووقته ودمه في سبيلها، فشرق بها طغاة عصره!!

وأصرّ على موقفه في سبيل اللَّه تعالى، وكشف عن سالفَيه!.. وطُلب منه أن يسطّر بقلمه كلمات اعتذار! وقال كلمته الإيمانية المشهورة. إن أصبعًا أرفعه للشهادة، لن أكتب به كلمة تضادها! أو كلمة نحو ذلك!

فالواجب على الجميع الدعاء له بالمغفرة! والاستفادة من علمه! وبيان ما تحقّقنا خطأه فيه.

وإن خطأه لا يوجب حرماننا من علمه ولا هجْر كتبه!

واعتبر ـ رعاك اللَّه ـ حاله بحال أسلاف مضوْا، أمثال أبي إسماعيل الهروي والجيلاني، كيف دافع عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ رغم ما لديهما من الطوام؛ لأن الأصل في مسلكهما نصرة الإسلام والسنة وانظر «منازل السائرين» للهروي ـ رحمه اللَّه ـ تر عجائب لا يُمكن قبولها! ومع ذلك فابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ يعتذر عنه أشد الاعتذار، ولا يُجرّمه فيها، وذلك في شرحه «مدارج السالكين».

نقبل الحق من سيد قطب ولا نقلده في خطئه الفكري أو الحركي فلا نقبل منه قوله في كتابه «لماذا أعدموني» (ص٤٥):

«تجب حماية الحركة الإسلامية وهي سائرة في خطواتها بحيث إذا اعتُدي عليها وعلى أفرادها ترد الاعتداء، وما دامت هي لا تريد أن تعتدي على غيرها، ولا تريد أن تفرض نظام اللَّه بالقوة من أعلى، فيجب أن تُترك لتؤدي واجبها، وألا يُعتدي عليها وعلى أهلها.

فإذا وقع الاعتداء عليها، كان الرد عليه من جانبها، بضرب القوة المعتدية، بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها».

لا نقبل هذا الكلام منه، لأننا نراه لا يتفق مع روح الدعوة والجهاد، ولا مع صبر الأنبياء والصالحين مع قوى الباطل، وقد كان كلام سيد هذا النافذة التي دخل منها الأعداء الراصدون إلى تنظيم الإخوان، وتوريطه، وجعل هذا وسيلة إدانته عند الظالمين في مذبحة ١٩٦٥م.. لا بد من الصبر الجميل حتى يقضي اللّه أمرًا كان مفعولاً لا بد من تربية الناس والجيل الناشئ على العقيدة السلفية.

❑ من العجيب أنه في فترة التمهيد لثورة يوليو ١٩٥٢ كان الضباط الأحرار يعقدون بعض اجتماعاتهم مع سيد قطب تحت شجرة باسقة في حديقة بيته بحلوان.

❑ يقول الأستاذ أحمد عبدالغفور عطّار الأديب الحجازي المعروف والصديق الأثير لسيد قطب عن صلة سيد برجال الثورة بعد قيامها «بلغ من احترام الثورة لسيد قطب وعرفانها بجميله وفضله، أن كل أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا ملتفين حوله، ويرجعون إليه في كثير من الأمور، حتى إنه كان هو المدني الوحيد الذي يحضر جلسات المجلس أحيانًا، وكانوا يترددون على منزله في حلوان.

ويتابع عطّار كلامه: «قرر مجلس قيادة الثورة ـ ونشرت القرار مجلة آخر ساعة أن يُسنَد إلى سيد قطب منصب وزير المعارف، كما أذكر، ولكن سيد قطب اعتذر!! ورجوْه أن يتولّى منصب المدير العام للإذاعة، فاعتذر!!

وأخيرًا وافق على أن يكون السكرتير العام لهيئة التحرير، ولبث فيه شهرًا.

وبدأ الخلاف بين سيد قطب وبين عبدالناصر وزملائه فاضطر سيد قطب

إلى الاستقالة من هيئة التحرير»[١] .

❑ يقول سيد قطب ـ رحمه اللّه ـ: «كنت أعمل أكثر من اثنتي عشرة ساعة يوميًّا قريبًا من رجال الثورة»[٢] .

*** قيادة ثورة يوليو يقيمون حفل تكريم لسيد قطب في أغسطس ١٩٥٢م!!**

«من تقدير وتوقير رجال الثورة له أنهم أقاموا حفل تكريم له بعد شهر من قيام الثورة.. وكان أساس الحفل محاضرة لسيد قطب بعنوان «التحرر الروحي والفكري في الإسلام» دُعي سيد لإلقائها في نادي الضباط في الزمالك في شهر أغسطس ـ آب ـ ١٩٥٢م.

وذهب سيد لإلقاء المحاضرة في الموعد المحدد، وكان معه صديقه الأديب الحجازي أحمد عبدالغفور عطّار.

وبدل أن يلقي سيد محاضرته، حوّل قادة الثورة الحفل إلى كلمات وخطابات للإشادة بسيد وبيان مناقشة، وصار الخطباء يتكلمون عن سيد ويثنون عليه وهو جالس.

❑ قال الأستاذ عطّار:

«كان مقررًا حضور محمد نجيب، وتولّيه تقديم سيد قطب إلاّ أن عُذْرًا عارضًا اضطر محمد نجيب للتخلف، وبعث برسالة تُلِيَت على الحضور، تلاها أحد الضباط.. وموجز كلمة محمد نجيب: أنه كان حريصًا على أن يحضر المحاضرة، ويُفيد من علم سيد قطب، ووصف سيد بأنه معلم الثورة ورائدها وراعيها.

---

(١) مجلة كلمة الحق السنة الأولى ـ العدد الثاني صفر ١٣٨٧ (ص٣٨) نقلاً عن كتاب «سيد قطب» لصلاح عبدالفتاح الخالدي ـ دار القلم دمشق.

(٢) «لماذا أعدموني» لسيد قطب (ص١١، ١٣).

وبعث نجيب برسالته مع أنور السادات، وأناب عنه جمال عبدالناصر.

افتتح أحد الضبّاط الحفل بآيات من القرآن، وقال أحد كبار الضباط:

«كان مقرّرًا أن يقوم الرئيس محمد نجيب بتقديم أستاذنا العظيم ورائد ثورتنا المباركة، مفكر الإسلام الأول في عصرنا الأستاذ سيد قطب، ولكن أمرًا حال دون حضوره».. وتقدّم الدكتور طه حسين وألقى كلمة رائعة قال فيها: «إن في سيد قطب خصلتيْن هما: المثالية المثالية، والعِناد، فهو ليس مثاليًّا فقط، ولكنه مثالي في المثالية».

وذكر سيد قطب وأثره في الثورة ورجالها.. وختم كلامه بالقول: إن سيد قطب انتهى في الأدب إلى القمة والقيادة، وكذلك في خدمة مصر والإسلام.

ثم وقف سيد قطب وألقى كلمة مرتجلة، وسط تصفيق المصفقين، وهتاف الهاتفين له.

❑ قال عن الثورة: «إن الثورة قد بدأت حقًّا، وليس لنا أن نثني عليها، لأنها لم تعمل بعدُ شيئًا يُذكَر، فخروج الملك ليس غاية الثورة، بل الغاية منها العودة بالبلاد إلى الإسلام!!

ثم قال سيد قطب: لقد كنت في عهد الملكيّة مهيّئًا نفسي للسجن في كل لحظة! وما آمن على نفسي في هذا العهد أيضًا فأنا في هذا العهد مهيئ نفسي للسجن، ولغير السجن، أكثر من ذي قبل».

وهنا وقف جمال عبدالناصر، وقال بصوته الجهوري ما نصه: «أخي الكبير سيد: واللّه لن يصلوا إليك إلا على أجسادنا، جثثًا هامدة، ونعاهدك باسم اللّه، بل نجدد عهدنا لك، على أن نكون فداءك حتى الموت!!».

وصفّق الناس تصفيقًا حادًّا متواصلاً، مع الهتاف المتكرر بحياة سيد قطب وعندما انتهى الحفل كان البكباشي جمال عبدالناصر في وداع سيد قطب».

ونذكّر بأن عبدالناصر الذي أقسم أمام الجماهير الحاشدة في ذلك

الحفل، أن يحافظ على سيد وحياته، والذي عاهده أن يكون فداءه حتى الموت، هو الذي حكم عليه بالإعدام بعد أربعة عشر عامًا كاملة من هذا التاريخ[١].

*** خلاف سيد مع رجال الثورة:**

أنشأ جمال عبدالناصر «هيئة التحرير» في ٢٣/١/١٩٥٣م وأسند إلى سيد قطب رئاستها، وحاول سيد أن تكون الهيئة إسلامية، ولكن رجال الثورة لا يريدون ذلك.

واستقال سيد قطب منها في شهر فبراير ١٩٥٣م، وحاول سيد قطب الإصلاح بين عبدالناصر والإخوان لئلا يقع الصدام بين الطرفين وفي هذا خسارة للإخوان والثورة والوطن ولكنه عجز.

فحتى مطلع عام ١٩٥٣ كان سيد قطب يعمل مع عبدالناصر لإصلاح الأحوال في مصر، وكان يرى عملاءَ أمريكا في مصر يحرّشون عبدالناصر علي الإخوان، لكنه لم يجد عند عبدالناصر استعدادًا لذلك، ولهذا فاصله وفارقه في شهر فبراير ١٩٥٣م وانضم إلى الإخوان مباشرة وانضمام سيد قطب للإخوان في هذه الأجواء دليل على صدق توجهه، وإخلاصه للَّه، فهو على يقين أنهم كانوا مقدمين على محنة خطيرة شديدة قاسية، وكان قبل انضمامه إليهم مقربًا من عبدالناصر ورجال الثورة، وهم يملكون الوظائف والمراكز والمناصب والأموال، ومع ذلك ترك الدنيا وما فيها عند عبدالناصر، وذهب إلى الإخوان وهو يكاد يرى المحن والأهوال التي تنتظرهم.

❑ يقول سيد قطب: «كانت حوادث ١٩٥٤م، فاعتقلت مع من اعتقلوا في يناير[٢]، وأُفرِج عنهم في مارس، ثم اعتُقلت بعد حادث المنشية في ٢٦

(١) انظر مجلة كلمة الحق ـ السنة الأولى ـ العدد الثاني، مايو ١٩٦٧م (ص٣٧ ـ ٣٩) وكتاب «سيد قطب» لصلاح الخالدي (ص١٦٠ ـ ١٦٥).

(٢) عند حل جماعة الإخوان في ١٥ يناير ١٩٥٤م.

أكتوبر كذلك، واتهمت بأني في الجهاز السري، ورئيس قسم المنشورات به، ولم يكن شيء من هذا كله صحيحًا»[١] .

وأفرج عن سيد قطب عام ١٩٦٤م بعفو صحي.

وفي ٩/٨/١٩٦٥م ألقي القبض على سيد قطب وبقي في التحقيق والتعذيب والمحاكمة إلى أن تم إعدامه بعد سنة من هذا التاريخ.

لما أُفرج عن سيد قطب عام ١٩٦٤م أصدر كتابه «معالم في الطريق»، وبسبب الأفكار الدعوية في كتاب «معالم في الطريق» وكتابه «في ظلال القرآن» غضب الطغاة من سيد قطب وحكموا عليه بالإعدام، ولهذا أطلق بعضهم على كتاب «معالم في الطريق» الكتاب الذي حكم على صاحبه بالإعدام.

❑ يقول سيد قطب في كتابه «لماذا أعدموني»:

«إنه أعقب ضرب الإخوان في سنة ١٩٥٤ موجة من الانحلال الأخلاقي والاتجاه الإلحادي، وستعقب ضربهم[٢] الآن موجة أشد، لا يعلم إلا اللَّه مداها، فلحساب من هذا الانهيار إنه قطعًا ليس لحساب البلد، ولا حتى لحساب النظام الحاكم.

ومهما كانت الآذان الآن غير مستعدة لسماع هذا الكلام، فإن من واجبي إبلاغه، وتبرئة ذمتي بقوله!!

لقد سمعت عدة مرات: وهل أنتم وحدكم المسلمون؟ أولا يكفيكم المؤتمر الإسلامي، وبرنامج «نور على نور» والمساجد تُقام فيها الصلاة، والناس يذهبون إلى الحج؟ ويجب أن أُقرر أن الإسلام شيء أكبر من هذا كله.. إنه

(١) «لماذا أعدموني» لسيد قطب (ص١٢).

(٢) هذا الكلام في ٢٢/ ١٠/١٩٦٥م.

نظام حياة كاملة، وإنه لا يقوم إلا بتربية وتكوين للشباب، وإلا بتحكيم شريعة اللَّه.

ولقد أردت في سنة ١٩٥٢م القيام بهذا في هيئة شباب التحرير، وكان الاتجاه معي في أول الأمر، ولكن في النهاية تغلّب توجيه جمعية الفلاح الأمريكية، وأشتات المنتفعين، الذين أرادوا هيئة التحرير بالصورة المهلهلة التي وُجدت بها، والتي تُخالف كل ما كنا اتفقنا عليه بشأنها.

إن الإسلام لا يقوم ولا يوجد في بلد ليس فيه حركة تربية ثم قيام نظام إسلامي يحكم بشريعة اللَّه في النهاية!

هذه في النهاية كلمات رجل، يستقبل وجه اللَّه، يُخلِّص بها ضميره، ويُبلِّغ بها دعوته إلى آخر لحظة!

والسلام على من اتبع الهدى.

السجن الحربي في ٢٢/ ١٠/ ١٩٦٥م[١].

وقال في هذا التقرير أيضًا: «إنه آن أن يُقدِّم إنسان مسلم رأسه ثمنًا لإعلان وجود حركة إسلامية»[٢].

وكان سيد قطب ينتظر حكم الإعدام عليه ويعلم أنهم سيحكمون عليه بهذا «روى الأستاذ إبراهيم المصري قائلاً: «وهنا لا بدّ من كشف النقاب عن حديث استكتمه سيد ـ رحمه اللَّه ورضي عنه ـ أحد إخوانه، قبل اعتقاله بأسابيع.. كان الحديث يدور حول اليهودية العالمية، وخطرها على العالم أجمع، والمسلمين بخاصة. يقول سيد: لقد وقفت على مدى تغلغل الأصابع اليهودية وخطرها، بعد بحث وطول عناء، واليهود إذا علموا أنني أحيط

(١) «لماذا أعدموني» (ص٩١ ـ ٩٤).

(٢) «لماذا أعدموني» (ص٧).

بذلك فلا بد أن أُقتل»[١] .

❑ قبل الحكم على سيد قطب بالإعدام يقول أحمد رائف: «في مرة من المرات أخذوني مع بعض الزملاء، لنُحضِر الطعام من المطبخ، وفي الطريق سنحت فرصة للتحدث مع سيد قطب.. قلتُ له ـ فيما قلت: ماذا تنتظر؟

فقال لي الرجل بابتسامة واثقة، نابعة من صدر هادئ مطمئن: أنتظر الوفود على ربي!!!

هذا كل ما كان ينتظر، أمّا ما قاله في المحكمة، فكان يريد به ذكر شيء للتاريخ[٢] .

«كان ينتظر القدوم على ربه؛ لأنه يشعر بأنه أدّى الواجب الذي عليه، وصدق ما عاهد اللَّه عليه، وبلّغ دعوته، وهو فرح سعيد راض.

وقد نُقِل عنه قوله لأحد إخوانه: «لقد عرفت أن الحكومة تريد رأسي هذا المرّة، ولست نادمًا لذلك، ولا متأسفًا لوفاتي، وأنا سعيد للموت في سبيل اللَّه».

وأرسل إلى صديقه عطار قبل الإعدام: «لقد وجدت اللَّه كما لم أجده من قبل قط، ولقد عرفت منهجه وطريقه، كما لم أعرفه من قبل قط، ولقد اطمأننت إلى رعايته، ووثقت بوعده للمؤمنين كما لم أطمئن من قبل قط!! وأنا بعد ذلك ـ على ما عهدتني ـ مرفوع الرأس، لا أحنيه إلا للَّه.. واللَّه يفعل ما يشاء.. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾»[٣] .

وبعد صدور الحكم بإعدامه كان باديًا على وجه الشكر والرضا، وكانت

---

(١) مجلة الشهاب اللبنانية ـ السنة الخامسة ـ العدد الحادي عشر أيلول ١٩٧١م (ص٣).

(٢) «البوابة السوداء» لأحمد رائف (ص٢٢٣).

(٣) «سيد قطب» للخالدي (ص٢٦٠) نقلاً عن مجلة «كلمة الحق» السنة الأولى ـ العدد الثاني مايو ١٩٦٧م (ص٤).

السعادة بادية على تقاسيم وجهه.

وعند ركوب السيارة سأل أحد الضبّاط أحدهم عن الحكم؟ فأجاب بأنه الإعدام!

فقال له سيد قطب: لا تقل لهم إعدام، بل قل شهادة في سبيل اللَّه دعهم يسمعون ما يكرهون.

«وسكت سيد قطب برهة، قال بعدها: الحمد للَّه ـ قالها بملء فيه ـ الحمد للَّه ـ شهادة في سبيل اللَّه.. إن اللَّه سبحانه وتعالى أراد أن يعطينا الجزاء، ولكن الجزاء أكبر بكثير مما نستحق.. شهادة في سبيل اللَّه! غدًا نلقي الأحبة، محمدًا وصحبه! وقال رسول اللَّه ﷺ عن الشهداء: «**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل**»[1].

«وأُعجب أحد الضباط بفرح سيد قطب وسعادته عند سماعه نبأ الحكم عليه بالإعدام ـ الشهادة ـ وتعجّب؛ لأنه لم يحزن ويكتئب ويُحبط، فسأله قائلاً: أنت تعتقد أنك ستكون شهيدًا، فما معنى شهيد عندك؟.

أجابه سيد قطب قائلاً: الشهيد هو الذي يقدّم شهادة من روحه ودمه، أن دين اللَّه أغلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداءً لدين اللَّه»[2].

واستعلى الرجل.. سيد قطب على كل المساومات.. أن يقول إن هذه الحركة كانت على صلة بجهة ما ويُفرج عنه بدلاً من الإعدام.

فقال: واللَّه لو كان هذا الكلام صحيحًا لقُلته، ولما استطاعت قوة على

---

(١) «الإخوان وعبدالناصر» لأحمد عبدالمجيد (ص١٩٣ ـ ١٩٤).

(٢) «مذابح الإخوان» (ص١١٨).

وجه الأرض أن تمنعني من قوله! ولكنه لم يحدث وأنا لا أقول كذابًا أبدًا؟!

قال لأخته حميدة: «إنهم لا يستطيعون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، وإن الأعمار بيد اللَّه، وهم لا يستطيعون التحكم في حياتي، ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها، كل ذلك بيد اللَّه.. واللَّه من ورائهم محيط»[١].

عندما طُلب منه الاعتذار مقابل إطلاق سراحه قال: لن أعتذر عن العمل مع اللَّه. وعندما طُلب منه كتابة كلمات يسترحم عبدالناصر، رفض ذلك بعزة وقال: إن أصبع السبّابة الذي يشهد للَّه بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفًا يُقَرّ به حكم طاغية!

وقال ردًّا على ذلك الطلب: لماذا أسترحم؟ إنْ سُجنت بحق فأنا أقبل حكم الحق، وإن سُجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل[٢].

❑ يقول الشيخ عبدالحميد كشك أسد المنابر في مذكراته «قصة أيامي» (ص١١٩ ـ ١٢٠):

«كان من الأحداث الجسام التي وقعت في صيف السجن ذلك الخبر الذي تعمّدوا أن يذيعوه علينا بالمذياع غداة تم تنفيذ حكم الإعداء في الشهداء الثلاثة: «سيد قطب» و«عبدالفتاح إسماعيل» و«محمد يوسف هوّاش». ولن أنسى صبيحة هذا اليوم وقد أذاعت النبأ إحدى المذيعات وكأنها تزفّ نبأ انتصار الجيش على إسرائيل، وكأننا استعدنا أرض فلسطين المقدسة.. ومما زاد الألم في النفوس أنها بعد إذاعة النبأ قالت: والآن نستمع إلى أغنية «بسبس نَوْ»!!

إلى هذا الحد بلغت الشماتة بقوم صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه.. إن

---

(١) «أيام من حياتي» لزينب الغزالي (ص١٨٣ ـ ١٨٤).

(٢) «لماذا أُعدم سيد قطب وإخوانه» (ص٢).

هؤلاء النفر الذين نُفِّذ فيهم حكم الإعداء فجر التاسع والعشرين من أغسطس ١٩٦٦م قوم قالوا كلمة حق عند سلطان جائر، فهم بين حمزة بن عبدالمطلب، وجعفر بن أبي طالب[١] . لقد أمروا هذا السلطان الجائر بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلهم بعدما عضّهم بنابه، وصبّ عليهم سوط عذابه، لقد جرّعهم كئوس التنكيل، وأذاقهم من العذاب ما لوْ صُبّ على الجبال لخرّت له هدّا».

عجبت لمصر تهضم الليث حقه وتفخر بالسنور ويحك يا مصرُ
سلام على الدنيا سلام على الورى إذا ارتفع العصفور وانخفض النسرُ

نسأل اللَّه أن يتقبّلهم في عداد الشهداء.

إن الناس يعيشون ويموتون، لكن الشهداء يعيشون ويعيشون، وإن الناس يعيشون ليموتوا، ولكن الشهداء يموتون ليعيشوا!!

انظر إلى قول سيد قطب في الظلال عند قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

«هو تعبير عجيب عن معنى عميق: إن الشهداء المختارون.. يختارهم اللَّه من بين المجاهدين.. ويتخذهم لنفسه سبحانه..

فما هي رزية إذن ولا خسارة، أن يستشهد في سبيل اللَّه من يُستشهد.. إنما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص.. إن هؤلاء الذين اختصهم اللَّه ورزقهم الشهادة، ليستخلصهم لنفسه ـ سبحانه.. ويخصهم بقربه.. ثم هم شهداء يتخذهم اللَّه، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداءً لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا

---

(١) لا نقطع بالجنة لأحد إلا من عيّنه الشارع فضلاً عن الشهادة.. هذا هو مذهب سلفنا أهل السنة والجماعة، ولكن نسأل اللَّه أن يتقبّلهم في عداد الشهداء.

جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل اللَّه لإحقاق هذا الحق وتقريره في دنيا الناس»[١].

أما حياة الشهداء عند ربهم، التي أخبرنا اللَّه عنها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «إن هناك سيخرّون شهداء في معركة الحق.. شهداء في سبيل اللَّه.. قتلى أعزاء أحباء.. قتلى كراماء أزكياء..

هؤلاء الذين يُقتلون في سبيل اللَّه ليسوا أمواتًا، إنهم أحياء.. فلا يجوز أن يُقال عنهم: أموات! ولا يجوزأن يُعتبروا أمواتًا في الحس ولا في الشعور، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفة واللسان، إنهم أحياء بشهادة اللَّه سبحانه، فهم لا بد أحياء.. إنهم قُتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين..

ولكن حقيقة الموت، وحقيقة الحياة، لا تقرّرهما هذه النظرة السطحية الظاهرة. إن سمة الحياة هي الفاعلية والنمو والامتداد، وإن سمة الموت الأولى هي: السلبية والخمود والانقطاع.

وهؤلاء الذين يُقتلون في سبيل اللَّه، فاعليتهم في نصرة الحق الذي قُتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي قُتلوا من أجلها ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثّر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتدّ.. فهم ما يزالون عنصرًا فعّالاً دافعًا مؤثرًا، في تكييف الحياة وتوجيهها.

وهذه هي صفة الحياة الأولى.. فهم أحياء بهذا الاعتبار الواقعي في حياة الناس»[٢].

---

(١) «في ظلال القرآن» (١/ ٤٨١).

(٢) «في ظلال القرآن» (١/ ١٤٣).

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ عن «قوة الكلمة» وحياتها وحيويتها: «إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين، فتحركها وتجمعها وتدفعها.. إنها الكلمات التي تقطر دماء؛ لأنها تقتات قلب إنسان حيّ!

كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان!

إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئًا كثيرًا، ولكن بشرط واحد.. أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم! أن أفكارهم من لحومهم ودمائهم.. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق، ويُقدموا دماءهم فداءً لكلمة الحق! إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثًا هامدة، حتى إذا متنا في سبيلها وغذّيناها بدمائنا انتفضت حية، وعاشت بين الأحياء»[1].

* **الدين النصيحة:**

❑ من المستنكر قول الأستاذ سيد قطب بحرية الاعتقاد كما جاء في كتابه «دراسات إسلامية» (ص١٣ ـ ١٤) يقول:

«وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم اللَّه للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه.

وهذه أخص خصائص التحرر الإنساني التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظم مذلة، لا يسمح لهذا الكائن الذي كرمه اللَّه باختياره لعقيدته ـ أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها، فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا ـ وهو يحرمه من الإيمان بإله للكون يصرف هذا الكون ـ وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل

(١) «دراسات إسلامية» لسيد قطب (ص١٣٩).

والأسباب.

إن حرية الاعتقاد: هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف الإنسان.

فالذي يسلب إنسانًا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء.. ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم، لا مدلول لها في واقع الحياة.

والإسلام وهو أرقى تصور للوجود وللحياة وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء ـ هو الذي ينادي بأن ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضًا بسلطان الدولة ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة؟!»[1].

وهذه فتوى للشيخ محمد بن عثيمين فيمن يجيز حرية الاعتقاد والتدين بما شاء من الأديان.

وسئل فضيلة الشيخ: نسمع ونقرأ كلمة (حرية الفكر) وهي دعوة إلي حرية الاعتقاد، فما تعليقكم على ذلك؟

فأجاب بقوله: تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد، يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر؛ لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد ﷺ، فإنه كافر باللَّه عز وجل ـ يستتاب فإن تاب وإلا وجب قتله.

والأديان ليست أفكارًا، ولكنها وحي من اللَّه ـ عز وجل ـ ينزله على رسله، يسير عباده عليه، وهذه الكلمة ـ أعني كلمة فكر ـ التي يقصد بها

(١) «في ضلال القرآن» (١/ ٢٩١).

الدين يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية؛ لأنها تؤدي إلى هذا المعنى الفاسد..

❑ **وخلاصة الجواب**: أن من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء وأنه حر فيما يتدين به فإنه كافر باللَّه ـ عز وجل ـ لأن اللَّه تعالى ـ يقول: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ ويقول: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن دينًا سوى الإسلام جائز.

ولا يجوز للإنسان أن يتعبد به بل إذا اعتقد هذا فقد صرح أهل العلم بأنه كافر كفرًا مخرجًا عن الملة»[1].

❑ **وهذا سؤال أيضًا وجه لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

يا شيخ ما رأيكم فيمن يقول: «الإسلام لا يقرر حرية العبادة لأتباعه وحدهم إنما يقرر هذا الحق لأصحاب ديانات مخالفة ويكلف المسلمين أن يدافعوا عن هذا الحق للجميع ويأذن لهم في القتال تحت هذه الراية راية ضمان الحرية لجميع المتدينين وبذلك يحقق أنه نظام عالمي حر يستطيع الجميع أن يعيش في ظله آمنين مستمتعين بحرياتهم الدينية على قدم المساواة مع المسلمين وفي حماية المسلمين؟».

❑ **فأجاب فضيلته قائلاً:**

«الحمد للَّه رب العالمين وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هناك قاعدة شرعية وعقلية تقول: من ادعى شيئًا فعليه الدليل، فهذا الرجل الذي يدعي أن الناس أحرار في أديانهم وأنهم يختارون من الأديان ما يريدون، وأنهم إذا اختاروا دينًا غير الإسلام فهو كأهل الإسلام؛ لأن

(١) «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ٩٩) رقم (٤٥٩).

كلاً له حريته.

نقول له: هذه دعوى فأت لها بدليل فإن لم تأت بدليل فإنها باطلة بالنص والإجماع، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون**﴾، وقال تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ...**﴾، وقال تعالى: ﴿**قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ..**﴾، وقال اللَّه تبارك وتعالى في المؤمنين أنفسهم: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.

فهذا القائل لهذه المقالة نقول: إنه مدع والمدعي عليه البينة وهذه الدعوى مردودة بالقرآن وبإجماع المسلمين على ذلك، صحيح أن الإنسان لا يجبر على الدين الإسلامي إذا بذل الجزية واستكان للدين الإسلامي وذل أمامه، فإننا لا نلزمه أن يتدين، ولكننا نعلم أن مأواه جهنم وبئس المصير، أما إذا نابذ ولم يخضع لحكم الإسلام في بذل الجزية وعدم العدوان على الإسلام وأهله فإننا نقاتله حتى تكون كلمة اللَّه هي العليا، نقاتله بأمر ربنا الذي خلقنا والذي خلقهم واللَّه عز وجل يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾، وقال: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾.

وكل من دان بغير دين الإسلام الذي بعث اللَّه به محمداً ﷺ فهو خاسر ولا ينفعه تدينه هذا بل هو من أصحاب النار حتى إن النبي ﷺ قال عن اليهود والنصارى مع أنهم أهل كتاب إذا سمعوا بمحمد ﷺ ثم لم يؤمنوا ويتبعوه فإنهم يكونون من أصحاب النار فعلى هذا القائل أن يراجع نفسه وأن يحكم عقله وأن يتقي ربه وألا يكون جماداً لا يفرق بين الخبيث

والطيب وبين المؤمن التقي والكافر الشقي.

❑ **يا شيخ ما حكم ما يقول هذا؟**

«حكمه أن يبلغ ويبيَّن له الحق فإن اهتدى فذلك المطلوب، وإن لم يهتد فلولاة الأمور أن يجروا عليه ما يقتضيه الشرع الإسلامي، ما يقتضيه الدين الإسلامي» ا. هـ[1].

❑ ويؤخذ عليه قوله بالاشتراكية وإلغاء الرق[2].

انظر «العدالة الاجتماعية» (ص٢٦١) ـ الطبعة الخامسة» وفي «ظلال القرآن» (٣/ ١٦٦٩) و(١/ ٢٣٠)، (٤/ ٢٤٥٥)، (٦/ ٣٢٨٥).

❑ قوله بالأخوة الإنسانية [انظر كتابه «نحو مجتمع إسلامي» (ص١٣٢)].

❑ وقوله بالضرائب (المكوس) [انظر كتاب سيد قطب «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٤١ ـ ٤٢)].

وقوله: في يد الدولة أن تنزع الملكيات جميعًا وتعيد توزيعها من جديد.

[انظر «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٤٣ ـ ٤٤، ٥٢)، و«دراسات إسلامية» (ص٩٠)].

❑ وقوله في الجزية انظر «الظلال» (٣/ ١٦٣٣ ـ ١٦٣٤).

ومساواته بين أهل الزكاة وأهل الجزية انظر إلى كتابه «السلام العالمي» (١٧٥ ـ ١٧٦) في حرية العبادة.

❑ ويؤخذ عليه قوله عن نبي الله موسى عليه السلام «أنه نموذج للزعيم

---

(١) «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم» للشيخ ربيع بن هادي المدخلي (ص٥٦ ـ ٦٣).

(٢) انظر «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» لربيع المدخلي (ص١٩) ـ نقلاً عن كتاب «التصور الفني في القرآن».

المندفع العصبي المزاج»[1].

❑ ويعاب عليه عيبًا شديدًا ما قاله عن ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ، وما قاله عن معاوية بن أبي سفيان خال المسلمين ﷺ وما قاله عن الصحابي «أبو سفيان بن حرب» والصحابية هند بنت عتبة، وعمرو بن العاص ﷺ في كتابه «العدالة الاجتماعية» وقد رد عليه الشيخ محمود شاكر في مجلة «المسلمون» عام ١٣٧١هـ العدد الثالث تحت عنوان «لا تسبوا أصحابي».

(انظر العدالة الاجتماعية لسيد قطب ـ الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٩هـ (ص١٥٩، ١٦١، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧)، و«كتب وشخصيات» (ص٢٤٢).

❑ أفيعقل أن يقول عن عثمان ﷺ: «ولقد كان من سوء الطالع أن تدرك الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ضعفت عزيمته عن عزائم الإسلام» [«العدالة» (ص٢٠٦) ـ الطبعة الخامسة].

❑ ويقول عن معاوية ﷺ: «فلما جاء معاوية، وصارت الخلافة الإسلامية ملكًا عضوضًا في بني أمية لم يكن ذلك من وحي الإسلام، إنما كان من وحي الجاهلية»، وقال عن بني أمية: «فأمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبها، وما كان الإسلام لها إلا رداء تخلعه وتلبسه حسب المصالح والملابسات»، ويقول عن خال المسلمين معاوية ﷺ: «فمعاوية هو ابن أبي سفيان وابن هند بنت عتبة، وهو وريث قومه جميعًا، وأشبه شيء بهم في بعد روحه عن حقيقة الإسلام.

فلا يأخذ أحد الإسلام بمعاوية ـ أو بني أمية فهو منه بريء ومنهم بريء».

---

(١) نفس الهامش السابق.

هذا الكلام يشين سيد قطب . . فلو عمل سيد قطب ما عمل ما بلغ مد أحد من الصحابة ولا نصيفه».

فأي انحراف قيد أنملة عن عقيدة السلف من سيد قطب أو غيره ولو كان من كان يردّ إلى المزابل، وولاؤنا لعقيدة السلف.

وبالسلفية إعجابنا إذا قلّ بالسلف المعجب

ولولا محاولتي وحرصي أن يكون كتابي وجمعي هذا جامعًا في بابه ما ذكرت لمن حاد عن منهج السلف قيد أنملة ولا نصف كلمة.

*** الدين النصيحة:**

❑ من المستنكر قول الأستاذ سيد قطب بحرية الاعتقاد كما جاء في كتابه «دراسات إسلامية» (ص١٣ ـ ١٤).

يقول: «وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم اللَّه للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه.

وهذه أخص خصائص التحرر الإنساني التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظم مذلة، لا يسمح لهذا الكائن الذي كرمه اللَّه باختياره لعقيدته ـ أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها، فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا ـ وهو يحرمه من الإيمان بإله للكون يصرف هذا الكون ـ وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب.

إن حرية الاعتقاد: هي أول حقوق الإنسان التي يثبت لها بها وصف الإنسان.

فالذي يسلب إنسانًا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء.. ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم، لا مدلول لها في واقع الحياة.

والإسلام وهو أرقى تصور للوجود وللحياة وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء ـ هو الذي ينادي بأن ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضًا بسلطان الدولة ولا يسمح لم يخالفها بالحياة؟!»[1].

❑ وهذه فتوى للشيخ محمد بن عثيمين فيمن يجيز حرية الاعتقاد والتدين بما شاء من الأديان.

وسئل فضيلة الشيخ: نسمع ونقرأ كلمة (حرية الفكر) وهي دعوة إلى حرية الاعتقاد، فما تعليقكم على ذلك؟

فأجاب بقوله: تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد، يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر؛ لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد ﷺ، فإنه كافر باللَّه ـ عز وجل ـ يستتاب فإن تاب وإلا وجب قتله.

* العالم العامل والمربي الفاضل العلاّمة الشيخ محمد الأوْدن صاحب الكرامة العظيمة:

❑ قال عنه الشيخ حسن عاشور صاحب «دار الاعتصام»: «أمير علماء عصره.. العالم العامل والمربي الفاضل، والناصح الأمين.. والتقيّ النقيّ

(١) «في ظلال القرآن» (١/ ٢٩١).

الورع الذي صدع بالحق فنطق به في وجه «طاغية مصر» يوم أن خرست ألسنة كثير من العلماء خشية البطش والتنكيل، أو نجاة بالنفس من الهلاك والاضطهاد، أو تفاديًا للملاحقة والاستبداد، أو أملاً في رضا الحاكم وذهب السلطان.. ذلكم هو العلاّمة الشيخ «محمد الأودن» الذي رحل عن هذه الدنيا بعد أن أدّى رسالة الدعاة وأمانة العلماء رغم ما جلبه ذلك عليه من فتن ومحن، وسجن وإرهاب، وتنكيل وتعذيب.. فلم تفتر همّته، ولم تضعف عزيمته حتى ذهب إلى ربه راضيًا مرضيًّا ليجد عنده ما قدّمته يداه»[1].

يقول الشيخ عبدالحميد كشك في مذكراته عن الشيخ الأودن:

«جيء ذات يوم وفي صيف ١٩٦٥م؛ جيء بأحد العلماء المتخصصين في دراسة الكتاب والسنة، وقد بلغ من الكبر عتيًّا، ووضع في قفص حديدي لما أصاب عظامه من الكسور، فقال قائد الجلاّدين لزبانيته: أدخلوه زنزانة واحبسوه حبسًا انفراديًّا وجوّعوا له كلبًا ـ ومما هو جدير بالذكر أن الكلاب في السجن الحربي كانت تأكل ما لذّ وطاب من الطعام بينما الآدميون لا يجدون فتات الموائد، وكانت الكلاب مدرّبة على نهش لحوم البشر فانظر يرعاك اللّه.. وتأمل ما هي العزّة والكرامة التي كان يتغنّى بها زعيم البلاد؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ ونفّذ الزبانية الأمر وجيء بالشيخ وقد بلغ الوهن منه ما بلغ واشتعل الرأس شيبًا وصار فيه دبيب الشيب فهزم العافية في جسده الناعم، ودخل الزنزانة وهو لا يدري ماذا يراد به ولكن من كان اللّه معه فمن عليه، ومَن وجد اللّه فماذا فقد؟

دخل الشيخ زنزانته وهو يرتل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ

(١) في التقديم والتعريف بكتاب «كتمان الحق» في آخر صفحة بقلم الشيخ حسن عاشور.

صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾، ثم يقرأ: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ واستقبل القبلة وصلّى للّه ركعات والصلاة كهف المؤمن كما أخبر بذلك الصادق المعصوم وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان يقول: «أرحنا بها يا بلال»، وفوجئ الشيخ ببعض الجلاّدين يدخلون معه كلبًا مفزعًا مخيفًا ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وأغلقوا عليهما باب الزنزانة واستمر الشيخ في صلاته فالصلاة روح يسري في قلب المؤمن يصله بالعالم العلوي والعالم الملائكي... وبعد ساعات من وضع الكلب بجانب الشيخ نادى قائد السجن على زبانيته وقال لهم بلسان الصلف والتيه والكبرياء: اذهبوا وانظروا ماذا فعل الكلب بابن الـ.. وذهب الزبانية على أمل أن الكلب قد أكل من الشيخ لحمه وعظمه وبناءً عليه فسوف تُصرف لهم مكافأة مالية وهكذا كانت أحوال الناس وعلاقاتهم: المنفعة... المصلحة... المادة... الكسب الرخيص... الأنانية... حب الذات... النفاق... الكذب... الخيانة... أنا والطوفان من بعدي... «أُنجُ سعد فقد هلك سعيد» ونظروا من العين السحرية من باب الزنزانة ليُخرجوا الكلب ويغسلوا الدم ولكن كانت المفاجأة تنخلع لها القلوب وتنعقد لها الألسنة دهشة وعجبًا، لقد وجدوا الشيخ ساجدًا للّه تعالى مستغرقًا في نور الجلال والجمال والكمال عليه كوكبة تحفّها السكينة والوقار ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

نعم..

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمانُ

وجدوا الشيخ ساجدًا والكلب يحرسه كأنهما كانا على معرفة قديمة وصداقة أصيلة!! إنه الإيمان إذا تمكّنت بشاشته من شغاف القلوب تكاد تجعل المستحيل ممكنًا والملح الأُجاج عذبًا سلسبيلا، إنه اليقين في اللَّه والاعتصام بحبله المتين... إنه صدق النية والإخلاص... إنها لغة «لاسلكي القلوب» لا يفهمها إلا من صفا قلبه وقوي يقينه... إنه هذا الإيمان يحرّك الجبال ويُسيّر العوالم.

إن للَّه عبادًا فطنا ... طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا ... أنها ليست لحيٍّ سكنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

لقد رجع الزبانية إلى سيدهم وقد انعقدت على رءوسهم هالات ضخمة من الدهشة، فما كان منه إلاّ أن قابل ذلك بالسباب والشتائم وقال لهم: ارجعوا فحرّضوا الكلب لينهش لحم هذا الـ... وفعلوا ذلك، ولكن دون جدوى فالكلب وفيّ لأولياء اللَّه الصالحين، والوفاء قيمة عليا له في القلوب المؤمنة مكانة عظمى بينما بنو الإنسان حرموا هذا القدر العظيم من هذا الخُلُق العظيم ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٣-٩٦].

يا رب ما أعظمك! ما أكرمك! ما أرحمك! ما أجملك! كل شيء قائم بك، وكل شيء خاشع لك، أنت قوة كل ضعيف، وعزّ كل ذليل، وغنى كل فقير، ومفزع كل ملهوف، من تكلّم سمعتَ نطقَه، ومن سكت علمت سرّه، ومن عاش فعليك رزقه، ومن مات فإليك منقلبه، يا عظيمًا يُرجى لكل عظيم.

يا مَن يرى ما في الضمير ويسمعُ ... أنت الرقيب لكل ما يُتوقَّعُ

لقد شكا الزبانية إلى سيدهم صمود الكلب وثبوته واصراره على موقفه من الشيخ فقال لهم ـ وقد ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم ـ إذًا فأخرجوا الكلب حتى لا يُصاب من رائحة الزنزانة بشيء يؤذيه، ونسي هذا أو تناسى أن للقلوب دولة لا يملك مفاتحها إلا اللّه، لقد ظلّ الشيخ في هذا السجن عامًا خرج بعده مسافرًا إلى مملكة الحجاز حيث عاش بها متنقلاً بين الحرمين الشريفين، وأراد ربك أن يختاره إلى جواره هناك وأن يدفن بأرض الطهر ومنازل الوحي ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾[1] .

❑ يقول صاحب الفضيلة الشيخ محمد محمد الأودن في تقديمه لكتاب «كتمان الحق بين تفريط العلماء ومسئولية الأمراء»:ـ

«العلماء... وفي مقدمتهم خرّيجو الأزهر ـ الذين درسوا كتاب اللّه عز وجل وسنة رسول اللّه ﷺ، وآمنوا بأن للمسلمين شرعة ومنهاجًا يكفر من جحدهما وفرّط فيهما... يعلمون تمام العلم أنهم مسئولون عن الفساد في الأرض بكتمان الحق والجهاد في سبيله.

وغني عن البيان أن العلماء في الأمة بمثابة القلوب في الأجساد.. . إذا قوي نبضها صحّ الجسد، وإذا ضعف انهارت الأعضاء، ووهنت عزيمتها، واستسلمت للموت جميعًا..

ومبادئ الإسلام وأصوله التي تلقّنها العلماء، وأنفقوا زهرة العمر في

(١) «قصة أيامي... مذكرات الشيخ كشك» للشيخ عبد الحميد كشك ص(١٣٧ ـ ١٤٠) المختار الإسلامي ومذهب أهل السنة أنهم لا يقطعون لأحد بدخول الجنة أو النار إلا من عيّنه الشارع ولكن حسن الظن بالودود الكريم أنه لا يخيّب رجاء أوليائه وحسن ظنهم به.

تحصيلها تفرض عليهم بطبيعتها أن يكونوا دعاة لها، رافعين لواء تبليغها... وإلا كان المفرّطون منهم كبعض علماء بني إسرائيل الذين قال اللَّه فيهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

فإن هم لم يقوموا بذلك ـ وهم أهله وأصحاب الكلمة فيه ـ فمن ذا الذي يقوم بالدعوة به؟!! أم يقوم به المتعلمون تعلّمًا مدنيًّا... وهم الذين حيل بينهم وبين تعلّم الدين في مدارسهم لكي يجهلوه، وينسلخوا من آدابه، ويصيروا على الرغم منهم حربًا عليه فيستغني بهم أعداء الدين، ويكيدون للإسلام على أيديهم، وبموافقة شعورهم الذي صاغوه بدل شعورهم الديني الإسلامي؟!!.

وعند ذلك يتم لأعداء الأزهر مأربهم القديم... من جعل هذا التراث الخالد جسمًا لا روح فيه، وصورة زائفة لا حقيقة لها، ودار طعام وشراب... لا دار نضال وكفاح لتحقيق المثل العُليا للفضائل الإنسانية التي يريد شياطين الباطل انطماس معالمها وآثارها!!

وهذا الكتاب ـ الذي أخرجه مؤلفه مخلصًا لوجه الحق ـ لم يأت بشيء غامض عن حقيقة الرسالة التي حملها أهل العلم، وورثوها عن رسول اللَّه ﷺ وقد أعطوا ربهم ميثاقهم أن يبيّنوها للناس ولا يكتموها. فإن العلماء خلفًا عن سلف يعرفون واجبهم الخطير، فوصلوا ليلهم بنهارهم سعيًا وراء الحق الذي وضعه المولى أمانة بين أيديهم، ليقوموا به، ويدعو إليه، ويحفظوه في الناس.

وإنما أراد المؤلف بكتابه البنّاء الجامع لرسالة العلم أن يذكّر به من يريد اللَّه بهم الخير من علمائنا الكرام، وأن يعالج أسباب التساؤل على ألسنة الناس عن أمر فساد الزمان، ونضوب معين الحق والعدالة والرحمة في القلوب، لكي يعلموا أن من وراء ذلك كله مسئولية علماء الأمة الإسلامية

في شتى أقطارها ـ وفي مقدمتهم علماء الأزهر الشريف ـ قبل مسئولية ملوكها وأمرائها وحكّامها، بل مضافة إلى مسئولية ملوكها وأمرائها وحكّامها.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾ عسى اللَّه أن يلين بهذا الكتاب قلوبًا، ويفتح به آذانًا وبصائر»[1] اهـ.

* * *

(١) مقدمة كتاب «كتمان الحق» ص(٨ ـ ٩) بقلم الشيخ الأودن.